

آفة خطيرة وبلية كبيرة ورزية عظيمة، مَنْ ابتلي بها فقد اجتمعت فيه الآفات كلها والشُرور جميعها والخبائث بأصنافها وأنواعها؛ إنها الخمر الخبيثة، وكذلك ما كان مثلها أو أشد منها من المُفترقات والمُخدرات.

ولنستمع في هذا المقام الخطير إلى كلام الرَّحمن وخطاب المَنَّان لأهل الإيمان تحذيراً من هذا الجرم العظيم والذنب الكبير، قارناً له تبارك وتعالى بأمّهات الآثام، ومُبيّناً سُبحانه أنّه عملٌ من أعمال الشيطان، وأنّ فيه صدّاً عن ذكر الله وإقام الصلاة وغير ذلك من أعمال الإيمان، قال الله تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَلْأَلُمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: 90-91].

فُرِئت الخمرُ بالأنصاب - وهي الأصنام التي كان يعبدوها أهل الجاهلية - بل فُرِئت بأعمال الجاهلية وسنائعهم وعظائم أعمالهم؛ وذلك لما يترتب عليها من آفات خطيرة وأضرار جسيمة، بل صحَّ في الحديث عن نبينا ﷺ أنّه قال: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ مُدْمِنٌ خَمْرٍ لَقِيَهُ كَعَابِدٍ وَثَنٍ»^(١)، وما ذلك إلا لشناعة تعاطي الخمر وما شاكلها وما هو كذلك أشد منها من المفترقات والمخدرات، وأن من علق قلبه بها وشغف بتعاطيها جرّت عليه من صنوف البلايا وأنواع الرزايا ما لا حدَّ له ولا عدّ، بل صحَّ في الحديث عن نبينا ﷺ أنّه قال: «اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ»^(٢) رواه الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

ولقد وقف الخليفة الراشد عثمان ابن عفان رضي الله عنه خطيباً في الناس يوماً محذراً من الخمر ومبيناً آفات وأضرارها فقال رضي الله عنه: «اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مُقْبِلاً عَلَى الْعِبَادَةِ وَمَعْتِزلاً لِّلنِّسَاءِ

فعلقت امرأة فأرسلت له جارية تدعوه إليها للشهادة، فجاء ليشهد فكانت الجارية كلّما دخل من باب أغلقته حتى دخل وأفضى إلى امرأة وضيئة جميلة حسناء، وإلى جنبها غلام، وإلى جنبها أيضاً وعاء خمر؛ فخبرته بين أحد أمور ثلاثة: إما أن يقع عليها، أو أن يقتل الغلام، أو أن يشرب كأساً من خمر، فاختار الرجل أن يشرب كأساً من خمر، فلمّا شرب الكأس قال: زيدوني آخر، فلما شرب الآخر سكر فوقع على المرأة وقتل الغلام». قال رضي الله عنه: «فاجتنبوا الخمر فوالله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر في قلب رجل إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه»^(٣).

إنّ آفات الخمر وأضرار المخدرات على الأفراد والشعوب والجماعات لا حد لها ولا عد؛ فهي كما قال نبينا ﷺ: «مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ» وكما قال عثمان رضي الله عنه: «أُمُّ الْخَبَائِثِ» بمعنى أنّ متعاطي الخمر والمخدرات يجلب على نفسه بتعاطيها كلّ آفة وكلّ شرّ، ويجلب على مجتمعه وعلى أهله وأبنائه وأسرته الشُرور المتنوعات والآفات الكثيرات.

الخمر والمخدرات سبب للصدّ عن ذكر الله وعن إقام الصلاة.

الخمر والمخدرات فتح لأبواب الكبائر والآثام.

الخمر والمخدرات نزعٌ للحياء وقطعٌ لجلباب الستر والحشمة والعفة.

ولقد بلغت الحال بعدد من المتعاطين أن يضحي الواحد منهم بكرامته وشرفه وربما بزوجته وابنته من أجل ذلك التعاطي المأفون، تعاطي المخدرات فتح لعمل الشيطان ليملي للمتعاطي كل آفة وكل بلية وشر؛ ولهذا حرص أعداء دين الله على ترويج المخدرات ونشرها وإشاعتها في المجتمعات المسلمة؛ ولهذا أيضاً كان المروج للمخدرات في المجتمعات المسلمة مجرمًا كبيرًا ومُفسدًا عظيمًا يستحقّ بجريمته هذه أن يطاح رأسه؛ لأنّ في إطاحة رؤوس مروجي المخدرات إطاحة برؤوس مروجي الشر

والفساد وتجفيف لمنايع الشرور والآثام، ولهذا فإن دلالة ولاية الأمر على المروجين للمخدرات من التعاون على البر والتقوى ومن القضاء على منابع الإجرام ومروجي الشرور والفساد.

والواجب على الآباء وأولياء الأمور والمربين ملاحظة أبنائهم ورعاية أولادهم وتحذيرهم من هذا الشر المستطير، ولقد حرص المروّجون - قاتلهم الله أنى يؤفكون - على إفساد أبناء المسلمين لأن هذه الآفة الخطيرة إذا جرّ إليها الحدث أو الصغير وجرّ إلى فعلها لمرة واحدة كان ذلك سبباً للتوغّل والدخول في أعماق الفساد - حمانا الله وإياكم -.

فلنسأل الله - جلّ وعلا - أن يطهرنا وأن يقينا في بيوتنا وفي مجتمعاتنا المسلمة من الشُرور والفساد ومن الخمر والمخدرات، وأن يحفظ علينا ديننا، وأن يحفظ علينا إسلامنا، وأن يجنبنا أنواع الشرور والفساد.

أورد الإمام ابن كثير رحمه الله في أوائل تفسير سورة غافر عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبراً في قصة رجل من أهل الشام كان يرتاد مجلس عمر رضي الله عنه ففقد عمر فقال: «ما فعل فلان بن فلان؟» فقالوا: يا أمير المؤمنين، يتابع في هذا الشراب، فدعا عمر كاتبه، فقال: اكتب: «من عمر بن الخطاب إلى فلان ابن فلان، سلام عليك، أما بعد: فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير». ثم قال لأصحابه: «ادعوا الله لأخيكم أن يُقْبَلَ بقلبه، وأن يتوب الله عليه».

فتأمّلوا - رحمكم الله - هذا الصنيع الجميل الذي صنعه هذا الخليفة الراشد في شخصٍ بدأ في أوّل الطريق في تعاطي الخمر والوقوع فيها؛ فجمع له بين الأمرين: **النصيحة البليغة والموعظة المؤثرة**، والأمر الثاني: **الدعاء له** وحث إخوانه المسلمين بأن يدعو الله له بأن يقبل بقلبه، ولما بلغ

الرجل كتابٌ عُمر جعل يقرؤه ويردده، ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، قد حذرنى عقوبته ووعدني أن يغفر لي.

ولهذا ينبغي على المسلم أن يكون ناصحاً لكل من ابتلي بشيء من هذه الآفات بالدعاء له بظهر الغيب بأن يُقبل الله -جلّ وعلا- بقلبه، وأن يناصحه بالنصيحة المؤثرة وبالموعظة النافعة، والهداية بيد الله والتوفيق بيده لا شريك له، ونسأله جلّ في علاه أن يُقبل بقلوب المبتهلين بهذا الذنب أو بغيره إليه، وأن يهديهم إليه صراطاً مستقيماً وأن يهدي ضال المسلمين وأن يردّهم إلى الحق رداً جميلاً.

- (1) أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده برقم: (2453)، وقال العلامة الألباني رحمه الله: «صحيح لغيره» كما في «صحيح الترغيب والترهيب»: (2364).
- (2) وهو مخرّج في «السلسلة الصحيحة» للعلامة الألباني رحمه الله برقم: (2798).
- (3) أخرجه عبد الرزاق في «مصنّفه» برقم: (17060)، والبيهقي في السنن الكبرى: (17802)، وقال العلامة الألباني رحمه الله: «صحيح موقوف» كما في «صحيح سنن النسائي»: (5682).

قال الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله في كتابه: «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، تحت الباب السابع والأربعين: (في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليه)، قال رحمه الله: «..وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: 15].

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كلّ واحدٍ منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فأفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وأفة اللبن أن يتغيّر طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصاً، وأفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وأفة العسل عدم تصفيته. وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهارٌ من أجناسٍ لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخطود

وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها، كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصّداع والغول والإنزاف وعدم اللذة، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا: تغتال العقل، ويكثر اللغو على شربها، بل لا يطيب لشربها ذلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها، وتنزف المال، وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان، توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم، وتذهب الغيرة، وتورث الخزي والندامة والفضيحة، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو هلاكه، ومؤاخذة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياماً له ولم يلزمه مؤونته، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار، وتدل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح والمأثم، وتُخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن. وكم أهاجّت من حرب، وأفقرت من غني، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، وفسخت من مودة، ونسجت من عداوة، وكم فرّقت بين رجل وزوجه فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة، وكم أغلقت في وجه شاربها باباً من الخير وفتحت له باباً من الشر، وكم أوقعت في بليّة وعجّلت من منية، وكم أورثت من خزي، وجرت على شاربها من محنة وجرت عليه من سفلة، فهي جماع الإثم، ومفتاح الشر، وسلاية النعم، وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه ﷺ أنّه قال: «من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة»^(١)، لكفى.

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة. انتهى

(4) صحيح البخاري: (5575)، ومسلم: (2003).

أضرارُ

الخُمُور والمُخدّرات

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

www.al-badr.net